

معيار الشهرة في تقسيم الشعراء عند ابن سلام.

The Criterion of Fame in Dividing Poets According to Ibn Salam

د. يوسف محمد أبكر أحمد^{1*}، د. يوسف محمد توتو محمد علي²

1 جامعة خليج السدرة (ليبيا) ، yousifbelala@yahoo.com

2 جامعة السلام (السودان) ، yousifbelala@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024 /10/24 – تاريخ القبول: 2024 /12/01 – تاريخ النشر: 2024 /12/31

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على معيار الشهرة وأثره في تقسيم الشعراء إلى طبقات عند ابن سلام من خلال كتابه "طبقات فحول الشعراء"، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت إلى عدة نتائج منها: يعدُّ معيار الشهرة من أهمِّ المعايير الفنية التي استند عليها ابن سلام في تقسيم الشعراء إلى طبقات تبعاً لتلك الشهرة، تجلّى معيار الشهرة عنده كذلك في تصنيف طبقات الشعراء بناءً على قصائد مشهورة أو فن أشتهر به بعض الشعراء، توافق معيار الشهرة مع غاية ابن سلام لأنّه معيار لفحولة الشاعر وجودة شعره ومنزلته من نفوس الناس، اتخذ معيار الشهرة عند ابن سلام عدّة مظاهر منها: شهرة الشاعر عند الجمهور عامة، وشهرة الشاعر بإجاداته أحد فنون الشعر، دفع معيار الشهرة ابن سلام إلى تصنيف ممن اشتهروا ببعض الفنون في طبقات، مثل طبقة أصحاب المراثي، وطبقة الرّجّاز، وطبقة شعراء النقائض، توصي الدراسة بضرورة تناول معيار الجودة وأثره عند ابن سلام من خلال كتابه "طبقات فحول الشعراء".

الكلمات المفتاحية: الشهرة، الجودة، طبقة، معيار، ابن سلام، فحولة.

* المؤلف المرسل: د. يوسف محمد أبكر أحمد

Abstract:

The study aimed to explore the criterion of fame and its impact on the classification of poets into different ranks according to Ibn Salam's "*Classes of Poets' Stallions*." The study followed a descriptive-analytical approach and reached several conclusions, including that fame is one of the most important artistic criteria on which Ibn Salam relied to classify poets into different ranks based on their fame. This criterion of fame was also evident in Ibn Salam's classification of poets based on famous poems or specific arts that certain poets were known for. The criterion of fame aligned with Ibn Salam's objective as it reflects the poet's excellence, the quality of their poetry, and their position in the hearts of people. The criterion of fame in Ibn Salam's approach took various forms, such as the poet's general popularity or their recognition for mastering a specific poetic art. Fame drove Ibn Salam to classify those renowned for certain arts into specific ranks, such as the class of elegy poets, the class of rajas poets, and the class of naqā'id (poetic contestation) poets. The study recommends further investigation into the criterion of quality and its impact in Ibn Salam's "*Classes of Poets' Stallions*."

Keywords: Fame , Quality , Rank , Criterion , Ibn Salam , Poetic .Excellence

1. مقدمة :

يعدّ معيار الشهرة أحد أهم المعايير النقدية التي اعتمد عليها ابن سلام في اختياراته لفحول الشعراء وجيد أشعارهم من خلال كتابه "طبقات فحول الشعراء". وتكمن أهمية معيار الشهرة عند ابن سلام في كونه القاسم المشترك في تقسيمه وترتيبه الشعراء إلى طبقات، وذلك من خلال تعليقاته النقدية وتحليلاته الأدبية في انتقائه وتخيره وتقديمه وتأخيره للشعراء داخل الكتاب والطبقة الواحدة.

ولم يقتصر ابن سلام في صنيعة على غير المشهور من الشعراء وأشعارهم، إذ لم يختَر شاعراً مغموراً، ولا قصيدة إلا مشهوداً لها بالجودة على مستوى نسجها وألفاظها ومعانيها، وبالتالي امتدت الشهرة عنده لتشمل القصائد بجانب الشعراء الذين أطلق عليهم الفحول، وبذلك أدرك ابن سلام حدود عمله وأسس النقدية مما جعل هذه الظاهرة جديدة بالدراسة من خلال كتابه.

2. ابن سلام :

هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجُمَحِي، مولى قدامة بن مظعون، وُلِدَ بالبصرة سنة 139هـ وتوفي ببغداد سنة 232هـ (الحموي، 1980م). نشأ في البصرة بيئة العلماء الأوائل وفحولها، والتقى كثيراً من علماء اللغة والنحو ورواة الأدب والأخبار الثقات، وسمِعَ من شيوخ العلم وروى عنهم (ابن النديم، 1978م).

ويُعتبر ابن سلام من أبرز النقاد الأدبيين في التراث العربي. من خلال كتابه "طبقات فحول الشعراء"، قام بتصنيف الشعراء بناءً على معايير مثل الشهرة والجودة، مما أسهم في تشكيل فهم الأدب العربي لمكانة الشعراء وأعمالهم. يُظهر عمله تأثيره الكبير على النقد الأدبي، حيث عكس رؤية المجتمع حول الفحولة الشعرية وأهمية القصائد في الثقافة العربية. هذا الكتاب ليس فقط دليلاً على الشعراء بل يعدّ أيضاً مرجعاً مهماً لفهم تطور الشعر والنقد في العصر الإسلامي.

اشتهر ابن سلام بسعة علمه وصدق روايته، وقد رَوَى عنه علماء ثقات أمثال: أحمد بن يحيى ثعلب، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، والمازني وغيرهم (بروكلمان، 1974م)، وله عدة مؤلفات ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست، وأضاف إليها ياقوت الحموي كتاب: "غريب القرآن" (الحموي، 1980م).

3. كتابه: "طبقات فحول الشعراء".

يُعدُّ كتاب ابن سلام "طبقات فحول الشعراء" من أهمّ المصادر في النقد الأدبي، إذ لا تخلو أغلب الدراسات النقدية من الاقتباس منه أو الإشارة إليه في متونها من حيث المقاييس النقدية والقضايا التي تعرّض لها. طُبِع الكتاب عدة مراتٍ منها (الدقاق، د.ت.).

- طبعة ليدن سنة 1913م وهي طبعة علمية بتحقيق يوسف هل الذي قدّم له بالألمانية

- طبعة مصر سنة 1920م بمطبعة الحلبي بالاعتماد على طبعة ليدن

طُبِع في سلسلة ذخائر العرب سنة 1952م بتحقيق محمود محمد شاكر، ثم توالى الطبعات حتى اليوم وهناك مصطلحان مهمان يجب أن نقف عندهما قليلاً قبل الخوض في البحث وهما مصطلحا الطبقة والفحولة. فالطبقة في اللغة تعني (ابن منظور، 1997م): المساواة بين شيئين أو أشياء، ومن ذلك قولك: "وليلة ذات جهام أطباق"، معناه: أنّ بعضه طبق لبعض أي مساوٍ له وطبق كل. ومما يؤكّد معنى المساواة قول ابن منظور كذلك: "وقد طابقه مطابقة وطباقاً، وتطابق الشيئان تساويًا، والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق، وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حدٍ واحدٍ وألزقتهما" (ابن منظور، 1997م). فهي تعني اشتراك بعض العناصر في وضعٍ متشابه، فهي بذلك تعني المساواة التامة.

والطبقة في الاصطلاح لا تخرج عن مدلولها اللغوي، فهي تعني: "التفرد والتفوق في مجال من المجالات، أو فن من الفنون، تساوى أصحابه" (الزبيدي، 1973م). يقول الزمخشري: "والناس طبقات: منازل ودرجات، بعضها أرفع من بعض" (الزمخشري، 2004م). فالطبقة تعني الدرجة أو المنزل التي يتبوّؤها الفرد داخل مجتمعه، والتي على أساسها يتم التفاضل بين الناس، فأعلاهم طبقة من كان ذا مكانة اجتماعية رفيعة، والطبقة عند ابن سلام تعني المنزل، ونخلص من ذلك أنّ الطبقة على هذا الأساس تعتمد على معيار الشهرة.

أما الفحولة فهي مصطلح نقدي استخدمه النقاد القدماء لتمييز وتفضيل الشعراء من خلال أشعارهم، وبناءً على ذلك قسّم النقاد الشعراء إلى فئتين: شعراء فحول، وشعراء غير فحول، والفحولة في الشعر تعني التفرد الذي يتطلب غلبة صفة الشعر على كل صفات أخرى في المرء (إحسان عباس، 1983م)، بجانب عدد معين من القصائد التي تكفل لصاحبها التفرد.

وفي هذا المعنى أورد المرزباني نصاً لأبي حاتم السجستاني قال فيه: "سألت الأصمعي عن مهلهل، قال: ليس بفحل، ولو قال مثل قوله "ليلتنا بذي حسم أنيري" خمس قصائد لكان أفحلهم" (المرزباني، 1938م). ونقل ابن رشيق نصاً عن الأصمعي ذكر فيه كيف يصبح الشاعر فحلاً، فقال: "لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعرف العروض ليكون ميزاناً له على قوله، والنحو ليصل به لسانه وليقيم إعرابه، والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو بدم" (ابن رشيق، 1934م).

هدف ابن سلام في صنيعة إلى الاهتمام بالشعر العربي القديم عامة وما علق به من شوائب وأحوال قائله، بجانب معرفة أخبار العرب، ولتحقيق ذلك عمد إلى المقاييس النقدية التي كانت سائدة في عصره. وقد تناول ابن سلام قضايا نقدية مهمة لم يسبقه إليها أحد كقضية انتحال الشعر التي أرجعها لأسباب مختلفة، بجانب قضايا نقدية أخرى (الدقاق، د.ت). ثم تحدث عن الناقد باعتباره ضرورة لتمييز الشعر والحكم عليه، وأشار إلى المؤهلات العلمية التي ينبغي أن يكون عليها من حيث التأهيل العلمي مثل: الدربة والعلم بالشعر والثقافة العالية التي تمكنه من الحكم على الشعر، واعتبر الناقد المثقف من أهم عناصر الحكم على العمل الأدبي فقال:

"وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم. من هذه الصناعات ما تُثقف العين، ومنها ما تُثقف الأذن، ومنها ما يثقف اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره. ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تُعرف جودته بلون ولا مس ولا طراز ولا رسم. ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بمرجها وزائفها. ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: إنّه لندي الحلق، طلّ الصوت، طويل النفس، مصيب اللحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بونٌ بعيد. يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة يُنتهي إليها، ولا علم يُوقف عليه. وإن كثرة المدارس لتعدي على العلم به. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به" (ابن سلام، د.ت).

وقد تباينت آراء النقاد والمؤلفين حول المادة العلمية للكتاب والجهود النقدية لمؤلفه، ونكتفي بذكر بعض التعليقات الخاصة بالجوانب النقدية لأنها محل دراستنا. ومن هؤلاء الدكتور عمر الدقاق الذي قال: "وينطوي 'طبقات الشعراء' على مقدمة جليلة في قواعد النقد الأدبي، لعلها أقدم ما كتبه باحث عربي في هذا المجال. إنها خطوة علمية رائدة نحو تقعيد النقد وتركيزه ومحاولة الخروج به من فلك النزعة التأثرية. وهي تنم عن حس نقدي مرهف وأصالة في الذوق تزيد الكتاب قيمة وجمالاً" (الدقاق، د.ت).

وقال الدكتور مصطفى الشكعة: "ومهما كان الأمر، فهذه صورة الكتاب الأول الذي اهتم بالشعر والشعراء. ولئن خافه التوفيق في الإنصاف في ترتيب الشعراء، فإن شفيعه للقارئ أنه قدّم لنا المحاولة الأولى في التأليف المتخصص في موضوعات الشعر والشعراء" (الشكعة، 2009م).

وذكر الأستاذ طه أحمد إبراهيم قائلاً: "ويظل كتاب ابن سلام على هذه المآخذ من أهم ما كُتب في النقد الأدبي عند العرب. ويظل ابن سلام من أجلاء النقاد، صحة ذهن، ونفاذ بصر بما بسط من القول، وأوضح من الدلائل، وبيّن من العلل. فقد وصل ما أصّله الأدباء واللغويون، وتناوله تناولاً حسناً، وزاد عليه زيادات قيّمة. ففي كتابه صورة لحياة النقد منذ نشأته في الجاهلية إلى أوائل القرن الثالث الهجري، وصورة للأذواق المختلفة، والأذهان المختلفة التي خاضت فيه. ولقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط، حتى جاء ابن سلام فضمّ أشاتتها، وألف بين المتشابه منها بروح علمي قوي. هذا الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة، فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التي انتفع بها فيما بعد من كتبوا في نقد الأدب" (طه، 2010م).

إنّ ابن سلام قد حصر الفكر النقدي في الكتاب في المقدمة والمتن، وتناول المؤثرات في الأحكام النقدية، وهي قسمان:

أ. مؤثرات عامة متصلة بالشعر نفسه*: كقضية النحل التي أثّرت على الشعراء وأشعارهم، وبيّن الحكم في ذلك. وكذلك الناقد وثقافته، وارجاع الحكم النقدي إلى أساس سابق يستند عليه حتى يكون الحكم مُعصداً مؤكداً، بجانب التحقق من صحة الرواية التي بموجبها ندرك صحة نسبة الشعر إلى قائله ومعرفة أصالته أيضاً، وارتباط الشعر بالقيم والعادات والأخلاق والحرب وازدهارها.

ب. مؤثرات خاصة: وهي متعلّقة بالنّاقّد وما ينبغي أن يكون عليه من الاستعداد الفطري والذوقي والثقافي والعلمي المكتسب بالممارسة والدربة حتى يكون حكماً مقبولاً. وهي تنحصر عند ابن سلام في المحاور التالية:

- الذوق الفني للنّاقّد ومؤثراته "البيئية"

- الاتجاه العلمي للنّاقّد "تخصّصه"

- المستوى العلمي للنّاقّد.

4. شهرة الشعر عامة :

قال ابن سلام: "وكان الشعر عند العرب في الجاهلية ديوان عملهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون" (ابن سلام، د.ت). ومن خلال ذلك نستشف القيمة الاجتماعية للشعر بأنّه كائن اجتماعي يتناول التأثير والتأثر مع المجتمع، وينقل التجارب الإنسانية. والمتأمل لقول الخليفة الراشد والصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدرك الرسالة الاجتماعية للشعر إذ يقول: "أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجته، يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم" (ابن عبد ربه، 1965م). ومن يتأمل كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد ينصحه بأن يروّي ابنه الشعر، يدرك تلك القيمة الاجتماعية، فيقول معاوية: "فوالله إنّ العاق ليرويه فيبر، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل" (الأصفهاني، د.ت).

وقد أشار الشاعر أبو تمام إلى دور الشعر في الحياة قائلاً:

ولو لا خلالٌ سنّها الشعرُ ما درى بُغاة الندى من أين تؤتى المكارم

وأنّ الغلا ما لم يُر الشعر بينها لكالأرض غُفلاً ليس فيها معالمٌ

وقد قصر ابن سلام حديثه عن المشهور من الشعر فقال: "وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه" (ابن سلام، د.ت). ففي قوله "ما اتفقوا عليه" يقصد المشهور من الشعر، وبناءً على ذلك أورد عبارات نقدية تدل على صنيعة في

اختياراته الشعرية. ومعنى ذلك أنّ هناك شعراً مشهوراً معروفاً لا خلاف حوله، وشعر مختلف حوله عند الناس.

وبناءً على الشعر المتفق عليه والمشهور بين الناس، قسّم الشعراء الذين وقع عليهم الاختيار إلى طبقات حسب شهرتهم، كل طبقة تحتوي على أربعة شعراء، فقال: "اجتمعوا على أنّهم أشعر العرب طبقةً، ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحدث والمعنى" (ابن سلام، د.ت).

ومما تقدم، ندرك شهرة الشعر وأهميته في عصور الأدب، مما جعل ابن سلام يعتقد اختياراته على الشعر والشعراء فقط، ولم يتعرض للنشر بأنواعه وكتابه. ابن سلام يركّز في كتابه "طبقات فحول الشعراء" على الشعراء المشهورين الذين لا خلاف حولهم، معتبراً أنّ الشعر المتفق عليه يُعتبر مقياساً لجودته. وهو يقسم الشعراء وفقاً لشهرتهم، مما يبرز الدور الفاعل للشهرة في تصنيف الشعراء وتحديد مكانتهم الأدبية.

5. شهرة الشعراء :

وقد أشار ابن سلام إلى تلك الشهرة بقوله: "فصلّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجّة، وما قال العلماء فيه. وقد اختلف الناس فيهم، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر، والنفاذ في كلام العرب، والعلم بالعربية، إذ اختلفت الرواة فقالوا بأرائهم، وقالت العشائر بأهوائها. ولم يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمّن تقدم، فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً، فألفنا من تشابه شعره إلى نظرائه، فوجدناهم عشرة طبقات، أربعة رهط لكل طبقة، متكافئين معتدلين" (ابن سلام، د.ت).

وقد تجلّى معيار الشهرة عند ابن سلام من خلال تقسيمه الشعراء إلى طبقات في عدة مظاهر هي:

شهرة الشاعر عند الجمهور عامة: ونجده قد طبّق هذا المعيار في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين التي شملت: امرؤ القيس بن حُجر، والنابعة الذبياني، وزهير بن أبي سُلمى، والأعشى. ولا يخلو اختيار هذه الطبقة من معيار الشهرة، وكأنّ هذه الطبقة تفسر لنا القضية النقدية عن أشعر شعراء الجاهلية الذين قيل عنهم: "أشعر شعراء العرب امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب"

(ابن رشيق، 1934).

ولا يخرج هذا المعيار عن مرجعية الحكم النقدي التي اعتمدها ابن سلام في كتابه، بأن جعل حكم الجمهور هو الأساس الذي قامت عليه شهرة هؤلاء الشعراء. قال ابن سلام: "أخبرني يونس بن حبيب: أنّ علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حُجر، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وأنّ أهل الحجاز كانوا يقدمون زهيراً والنّابغة" (ابن سلام، د.ت). وفي قوله "علماء البصرة وأهل الكوفة وأهل الحجاز" إشارة إلى جمهور تلك البقاع، فيرى كل جمهور شاعرهم المشهور المفضّل والذي أجمعوا على شاعريته وفحولته، فاشتهر عندهم دون سواه. بالتالي، فإن جمهور أهل البصرة يقدمون امرأ القيس وهو عندهم فحل مشهور، وكذلك الحال بالنسبة للأعشى وزهير والنّابغة عند جمهور أهل الكوفة وأهل الحجاز. فنظر إليهم ابن سلام عبر هذا المعيار "الشهرة عند جمهورهم" والاحتجاج لكل شاعر بما عنده، فوضعهم في الطبقة الأولى من طبقات الجاهليين، ثم فصل المبررات التي جعلت كل جمهور يحتج لشاعره مستشهداً بأشعارهم التي ساقها لإثبات صنيعه (ابن سلام، د.ت).

وقد أورد ابن سلام تعليقات نقدية تدل على ذلك، منها قوله: "فاحتجّ لامرئ القيس من يقدّمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعه فيها الشعراء: استيقافه صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوايد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب والمعنى" (ابن سلام، د.ت). وقد ذكر ابن رشيق قائلاً: "قليل لنصيب مرة: من أشعر العرب؟ فقال: أخو تميم، يعني علقمة بن عبدة، وقيل أوس بن حجر، وليس لأحدٍ من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنّابغة والأعشى في النفوس" (ابن رشيق، 1934). وهذا الحديث من ابن رشيق يدل على شهرة هؤلاء الشعراء عند جمهورهم.

فابن سلام نقل هذا الرأي النقدي المشهور عند الجمهور قبله، وهو ما يعضّد شهرة الشاعر وابتداعه لأشياء عُرفت عنده. وقد علّق ابن سلام على ذلك بقوله: "وكان أحسن أهل طبقته تشبيهاً" (ابن سلام، د.ت). وهو في هذه الطبقة يلتزم بقضية الشاعرية لارتباطها المباشر بالفحولة، ويحكم ابن سلام بفحولة عبيد بن الأبرص لأنّه "قديم، عظيم الذكر، عظيم الشهرة" (ابن سلام، د.ت)، لذلك وضعه مع الفحول وافترض أن شهرته توجب له شعراً ضائعاً.

6 . شهرة الشاعر بإجادته أحد فنون الشعر :

6.1. طبقة أصحاب المراثي :

:وهم ممن اشتهر بهذا الفن في الجاهلية وصدر الإسلام. وقد وضع ابن سلام هؤلاء الشعراء في طبقة واحدة وفقاً لاختصاصهم بهذا الفن، وهم: أعشى باهلة (عامر بن الحارث) وكعب بن سعد الغنوي، وهما جاهليان. وأضاف إليهما في هذه الطبقة متمم بن نويرة، والخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث)، وهما مخضرمان. ومن يتتبع أشعارهم التي اختارها لهم ابن سلام يجدهم ممن اشتهر بفن الرثاء عند جمهور العرب. قال ابن سلام: " وصيّرتنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات " (ابن سلام، د.ت).

ومما يعضّد معيار الشهرة عند ابن سلام وضع الخنساء (وهي الأنثى) في قائمة شعراء المراثي، فأصبحت الشاعرة الوحيدة التي ظهرت وسط الشعراء، وكسرت حاجز الفحولة إن كان مقصوداً به الذكور، وذلك لأنّ شهرتها في هذا الفن جعلت من المستحيل تخطيها أو إغفال ذكرها.

6.2. أشهر شعراء النقائض :

اختيارهم لا يخلو من دلالة على اشتهارهم بهذا الفن في العصر الأموي، وذلك لأن ابن سلام وضع جريراً، والفرزدق، والأخطل، والراعي النميري في طبقة واحدة، مشيراً إلى اشتهارهم بالنقائض التي دارت بينهم واشتهروا بها. أفرد لهذه الطبقة أكثر من مائتي صفحة في طبقاته، تناول خلالها ذكر جرير والفرزدق اللذين أفرد لهما مائة وستين صفحة، متحدثاً عن نقائضهما وقول النقاد فيهما، مما يدل على شهرتهما وانشغال الناس بأشعارهما. قال بطرس البستاني: "لم يشغل الناس شاعر في الجاهلية ولا في الإسلام كما شغلهم جرير والفرزدق بتهاجيهما، فقد لبثا أربعين سنة يتشاثمان والناس تسمع لهما ولا تتفق على تفضيل الواحد منهما على الآخر" (البستاني، د.ت). وتناول الأخطل منفرداً والذي خصص له خمسين صفحة من كتابه ولم لم يسهب فيه كما في جرير والفرزدق، وختم طبقته بذكر الراعي النميري الذي أفرد تسع عشرة صفحة، وصنّيع ابن سلام في ذلك يذكر آراء النقاد في الشاعر وشعره مع الاستشهاد.

ومن تعليقاته قوله: "وأهل البادية والشعراء يجري أعجب (ابن سلام، د.ت).

وقد اعتمد ابن سلام على المشهورين من شعراء النقائض وبالتالي خلت هذه الطبقة من بعض شعراء النقائض غير المشهورين أمثال: البُعَيْث المجاشعي الدارمي، وعمر بن لجأ التيمي، وسُرّاقة البارقي.

3.6. طبقة الرّجّاز :

وهم ممن اشتهر بالرجز أمثال: أبو النجم العجلي، والعجّاج، وابنه رُوبة بن العجّاج، الذين تم اختيارهم في الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين.

والملاحظ أنّ ابن سلام لم يطبّق معيار الشهرة تطبيقاً دقيقاً في طبقاته، كما لم يسمه تسمية صريحة ولكن مضمون اختياراته يوحي بذلك، فنجدّه قد أهمل بعض المشهورين أمثال عمر بن أبي ربيعة الذي اشتهر بالغزل الفاحش في عصره، والكميت ابن زيد الأسدي الذي اشتهر بمباشماته، والطرمّاح بن حكيم أكثر شعراء الخوارج نتاجاً، ولكنّا نرجح أنّ هؤلاء المذكورين ربما لم يجد لهم ابن سلام نظراء يضعهم معهم في طبقة واحدة على أساس الشهرة أو التشابه في الأغراض، ولكنّه وُفق في صنيعه بتقديم دراسة نقدية قامت على الاستقراء والتقصي في الأسس الفنية التي تجمع أولئك الشعراء، قال ابن رشيق: “فالأغلب العجلي والعجّاج في الرجز كامرئ القيس ومهلّهل في القصيد(ابن رشيق، 1934)، وقد علّق الدكتور مصطفى الشكعة على ذلك بقوله: “ومهما كان الأمر فهذه صورة الكتاب الأوّل الذي اهتم بالشعر والشعراء، ولئن خانّه التوفيق في الانصاف في ترتيب الشعراء، فإنّ شفيعه للقارئ أنّه قدّم لنا المحاولة الأولى في التأليف المتخصص في موضوعات الشعر والشعراء(الشكعة، 2009م).

وقد تنبه بعض النقاد الذين تعرضوا لصنيع ابن سلام في طبقاته ونهّوا إلى معيار الشهرة، وقد قال الأستاذ طه أحمد إبراهيم معلقاً على صنيع ابن سلام متضمناً مضمون الشهرة في اختياراته فقال: “وغيرُ خافٍ أنّ جعل جماعة من الشعراء في منزلة واحدة، فكرة قديمة فُطن إليها الأدباء الإسلاميون في أنّ جريراً والفرزدق والأخطل طبقة، ونمّاها اللغويون بجعلهم امرأ القيس وزهيراً والنّابغة والأعشى طبقة، ومعنى طبقة أنّهم نظراء وأنهم المتقدمون والمبرزون(طه، 2010م)، وقد علّق الدكتور السعيد الورقي كذلك بقوله: “أمّا مقياس تصنيف الشعراء إلى طبقات عند ابن سلام فهو في الغالب المقدرة الفنية والشاعرية من حيث

الجودة والكثرة (الورقي، 2009م) ، ففي ذكره للشاعرية من حيث الجودة والكثرة إشارة ضمنية إلى معيار الشهرة..

7 . شهرة الشعراء بناءً على بعض القصائد:

هذا المعيار من أوضح مسالك ابن سلام في صنيعه، ونجد ذلك في القصيدة الواحدة المتفوقة عنده، ومن ذلك جعل: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلّزة، وعنترة بن شدّاد، وسويد بن أبي كاهل اليشكري في الطبقة السادسة من الجاهليين، وعلّق على ذلك بقوله: “أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة(ابن سلام، د.ت. 51) ، وفي قوله لكل واحد منهم واحدة دليل على شهرة تلك القصائد التي صاروا من خلالها فحولاً في عصرهم، فقصاصد عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلّزة، وعنترة بن شدّاد، متفقٌ عليها من ضمن المعلقات السبع أو العشر، وأما عينية سويد فلا تقل شهرة عن سابقاتها، وقد أطلق عليها جمهور العرب عدة نعوت تدل على شهرتها منها:

1.7. المعلقات: وهو الاسم المشهور، ومرّد التسمية بأنّها كُتِبَتْ وعُلِّقَتْ على أستار الكعبة، وأقدم من أشار إلى التعليق ابن الكلبي المتوفى (204هـ) فقد قال: “أول شعر عُلق في الجاهلية شعر امرئ القيس، عُلق على ركنٍ من أركان الكعبة أيام الموسم حتّى نُظِرَ إليه ثمّ أحدر(ابن الأنباري، 1963م. 11) ، فعُلِّقت الشعراء بعده، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية، وعدّوا من عُلق شعره سبعة نفر”، وتبعه على ذلك صاحب العقد الفريد فقال: “لقد بلغ من كلف العرب به — أي الشعر — وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة(ابن عبد ربه، 1965م، 269) ، ونصّ على التعليق كذلك ابن رشيّق(ابن رشيّق، 1934، 83).

2.7. المذهبات: بدعوى أنّها كُتِبَتْ بماء الذهب (ابن قتيبة، 1932، 252) ، وقال بذلك أيضاً ابن عبدربه الذي أورد قائلاً: “حتّى لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أنّ عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال

مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير، والمذاهب سبع، وقد يقال لها المعلقات (ابن عبد ربه، 1965م، 269)، وتبعه على ذلك ابن رشيق (ابن رشيق، 1934، 96).

3.7. السموط: وذكر ذلك أبو يزيد القرشي بعد أن أحصى أصحاب المعلقات فقال: “هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط، فمن قال أن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة (القرشي، 1982م، 80).

4.7. السبع الطوال: روي عن أبي جعفر النّحاس أن حماد الراوية هو الذي جمع السبع الطوال (النّحاس، 1973م، 422)، وتبعه على ذلك أبو يزيد القرشي (القرشي، 1982م، 80)، وغير ذلك من الأسماء التي وسمت بها المعلقات.

وهكذا تعددت أسماء المعلقات، وصار لكل اسم من أسمائها دلالة عليها أو على صفة من صفاتها التي تعني الجودة والطول والنفاسة والشهرة، وتلك التسميات تدل على أن المعلقات قد نزلت منزلاً رفيعاً في نفوس العرب واشتهرت عند جمهورهم، إذ أنّها اشتملت على خصائص لم تتوفر في غيرها، وكذلك لم يشك في جاهليتها أحد.

وبالتالي فإنّ المعلقات تُعدّ من عيون الشعر العربي منذ ظهورها إلى يومنا، وهي كما قال الدكتور يحيى الجبوري: “المعلقات قصائدٌ طوال جياذ، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي قوة ومتانة وجمال أسلوب، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي، ولذلك غطّت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي، وصار لقائلها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من الشعراء، واتخذها الأدباء والشعراء - بعد عصرها - قدوة يحاكونها حين ينظمون، متأثرين بأسلوبها ولغتها وطريقة نظمها وتسلسل أفكارها، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهليين في معلقاتهم (الجبوري، 2001م، 173).

أمّا اعتماد ابن سلام على معيار الشهرة في تصنيف الشعراء، هو أنّه قد يرتقي الشاعر بناءً على قصيدة واحدة مشهورة. ويُعدّ هذا المعيار أساسياً في تصنيف الشعراء في طبقاتهم، كما يبرز النص دور المعلقات وأسمائها المختلفة في التأكيد على الشهرة والجودة. رغم ضياع كثير من الأشعار، استطاع ابن سلام تحديد

الشعراء الفحول بناءً على القصائد المتبقية لديهم، مشيراً إلى أن بعضهم احتفظ بشهرته رغم قلة ما بقي من شعره.

وقد ذكر ابن سلام أنّ الشعراء الفحول المشهورين الذين أثبتهم في طبقاته كانت لهم أشعاراً كثيرة جيدة اشتهروا بها عند جمهور العرب قبل أن يتناقلها الرواة، ولكنها ضاعت بسبب انقطاع الرواية، فيقر أنّ الشاعر الفحل المشهور يتوجب معرفة نتاجه الشعري الصحيح الذي بمقتضاه أنزله العرب منزلة الفحول بين أقرانه، ولكنه مع قلة نتاجهم ثبت فحولتهم وشعرهم على الرغم من ضياع أشعارهم بسبب انقطاع الرواية، فيقول عن طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص: “وما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه، قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، اللذين صحّ لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهن، فليس موضعهما حيث وُضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كان ما يُروى من الغناء لهما، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة، ونرى أنّ غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير، غير أنّ الذي نالهما من ذلك أكثر، وكأنا أقدم الفحول، فلعلّ ذلك لذاك، فلما قلّ كلامهما حُمِلَ عليهما حمل كثير (ابن سلام، د.ت، 26).

ونستخلص من هذا الحديث عن ابن سلام أنّ الشعراء الفحول الذين أوردتهم في طبقاته قد اشتهروا في محيطهم وعند جمهورهم، وما أثبتته لهم من أشعار ليس هو جميع نتاجهم، بل لإثبات صنيعة وتعضيد منهجه، وبالتالي فإنّ معيار الشهرة عنده هو الأساس الذي عقد عليه اختياراته للشعراء وإنزالهم منازلهم بين أقرانهم.

ومن خلال ما استعرضناه من اختيارات ابن سلام ندرك أنّ الشهرة معياراً مهماً عنده، وهذا ما قرره الدكتور عيسى على العاكوب الذي علّق على ذلك بقوله: “ويُفهم من هذا أنّ إدخال الشاعر في كتاب الطبقات يستند إلى كونه فحلاً مشهوراً بين الناس، ومن ثمّ يعني إدخاله في الكتاب اختار العرب إيّاه (العاكوب، 1997م، 123)، ونرى في هذه الاختيارات أنّ ابن سلام لم يكم مستقلاً برأيه في تصنيف طبقاته، بل خضع عمله إلى مرجعية الحكم النقدي، ونرى ذلك في الأسس الموضوعية لتقدمه شعراء الطبقة الأولى التي استند على تصنيفها من رأي الجمهور، مما دفع الدكتور إحسان عباس بالقول: “إنّ ابن سلام

عاد إلى المبادئ القديمة ومنحها شكلاً جديداً من خلال توسعة بعضها وتغيير مدلول بعضها، في محاولة جادة لخلق نظام جديد لدراسة الشعراء (إحسان عباس، 1983م، 82).

إنّ مقياس الشهرة عند ابن سلام لم يقتصر على الشعراء فحسب، بل امتدّ إلى القصائد كما هو الحال في المعلقات التي جعل أصحابها في الطبقة السادسة من الجاهليين، وكذلك شهرة بعض الفنون كالنقائض والمراثي التي جعل لكل منهما طبقة، وكذلك الرجز.

8. خاتمة:

ختاماً، يبرز البحث أهمية مقياس الشهرة في تصنيف ابن سلام للشعراء في "طبقات فحول الشعراء"، حيث ساهمت هذه المعايير في تشكيل تصور الأدب العربي حول مكانة الشعراء وجودة أعمالهم. ومن خلال فهم تأثير الشهرة على تصنيفات الشعراء، يظهر دورها الفاعل في تعزيز الفحولة الشعرية وتقدير مكانة الأسماء الأدبية في التراث. لذا، يستدعي الأمر دراسة أعمق لمعايير الجودة في كتاباته لفهم أبعادها بشكل أكثر شمولية.

تناول ابن سلام في كتابه "طبقات فحول الشعراء" الشعراء المشهورين والقصائد المتفق على جودتها، حيث يعد مقياس الشهرة أحد أهم المعايير الفنية التي اعتمد عليها في تصنيف الشعراء. يظهر هذا المقياس في تصنيفه للشعراء وفقاً لشهرتهم، سواء من خلال قصائد معينة أو الفنون التي اشتهروا بها. يتوافق هذا المقياس مع هدف ابن سلام في تقييم فحول الشعراء وجودة شعرهم ومكانتهم في نفوس الناس.

يتجلى مقياس الشهرة من خلال عدة مظاهر، منها مدى شهرة الشاعر لدى الجمهور وشهرته في إتقان أحد فنون الشعر. وأكد ابن سلام أن الشعراء الذين أدرجهم في طبقاته كانوا معروفين بشعر جيد أثبتت جودته بين العرب.

على الرغم من أن الخنساء كانت شاعرة، إلا أنها وُضعت في طبقة أصحاب المراثي، مما يعكس قوة مقياس الشهرة الذي يتبعه ابن سلام. كما أتاح له هذا المقياس تصنيف الشعراء الذين اشتهروا بفنون معينة في طبقات مختلفة، مثل طبقة أصحاب المراثي، وطبقة الرجز، وطبقة شعراء النقائض.

9. التوصيات:

ينبغي أن يتوسع الباحثون في دراسة "معيّار الشهرة" الذي استخدمه ابن سلام في تصنيف الشعراء في "طبقات فحول الشعراء"، من خلال النظر في كيفية تأثير الشهرة على تقييم الشعراء، ومدى اعتماد ابن سلام على هذا المعيار بشكل أساسي في التصنيف. يمكن أيضاً دراسة المعايير الأخرى التي اعتمد عليها ابن سلام، مثل جودة الشعر والتأثير الاجتماعي، ومقارنة تلك المعايير مع معايير النقد الحديث. بالإضافة إلى ذلك، يُنصح بتناول دراسة خاصة حول تصنيفات الشعراء الذين قد يكونون قد تم تجاهلهم أو التقليل من قيمتهم بسبب قلة شهرتهم، على الرغم من جودة شعرهم.

10. المصادر والمراجع :

1. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري، دار الثقافة — بيروت، الطبعة الرابعة 1404هـ/1983م.
2. أبو جعفر النحاس: شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق: أحمد خطاب، دار الحرية — بغداد، الطبعة الثانية 1973م
3. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، دار المعارف — القاهرة، الطبعة السادسة 1982م
4. الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية — القاهرة، (د.ت)
5. ابن الأنباري: محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف — القاهرة، الطبعة الأولى 1963م
6. ابن النديم: محمد بن اسحق النديم، الفهرست، دار المعرفة — بيروت، الطبعة الأولى 1978م
7. ابن رشيقي: أبو الحسن علي بن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار المعارف — القاهرة، الطبعة الأولى 1934م
8. ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني — بيروت

9. ابن عبدربه: أحمد بن محمد بن عبدربه، العقد الفريد، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1965م
10. ابن قتيبة: أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية 1932م
11. ابن منظور: جمال الدين بن المكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة السادسة 1997م
12. الجبوري: يحيى وهيب الجبوري (دكتور)، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة 2001م
13. الزبيدي: محمد بن الحسين الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة الجامعية - القاهرة، الطبعة الثانية 1973م
14. السعيد الورقي (دكتور): تأريخ النقد الأدبي عند العرب، دار المعرفة الجامعية - القاهرة، الطبعة الأولى 2009م
15. الشكعة: الدكتور مصطفى محمد الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة التاسعة 2009م
16. طه أحمد إبراهيم: تأريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الرابعة 2010م
17. عيسى علي العاكوب (دكتور): التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1997م
18. كارل بروكلمان: تأريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف - مصر، الطبعة الثالثة 1974م
19. المرزباني: أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق: علي محمد البجاوي، نخضة مصر للطباعة - القاهرة، الطبعة الأولى 1938م

20. الحموي: ياقوت الحموي، معجم الأدياء، طبعة دار الفكر العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1980م
21. الزمخشري: جار الله محمود بن عمر أبو القاسم، أساس البلاغة، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة 2004م
22. الدكتور عمر الدّقاق: مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، دار الشروق - بيروت، (د.ت)
23. بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود للنشر - بيروت، (د.ت)